ظاهرة النهب في الحجاز وآثارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خلال العصر المملوكي

الباحثة: ريهام علي يحي الغامدي

القسم: التاريخ والآثار

المستخلص

تناقش هذه الورقة إحدى أبرز الإشكاليات فى التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ألا وهي قضية النهب في مجتمع الحجاز خلال العصر المملوكى، وكيف كان تأثير هذه الظاهرة بشكل سلبي على المجتمع وسلامته واستقرار أمنه واقتصاده، واستطلاع مدى الأثر السلبي للظاهرة على الأحوال الاقتصادية، وكذلك ترويع المجتمع، مع تتبع دقيق لمعظم هذه الممارسات من خلال استقراء المصادر المعاصرة، بالإضافة لبيان موقف السلطة في التصدى لهذه الظاهرة ممثلة فى سلطتى المماليك والأشراف.

المقدمة:

يعتبر النهب أحد روافد طبقة المهمشين وشريحة أصيلة من شرائح الفئات الاجتماعية المهمشة التي كانت تمثل هاجسا أصاب المجتمع لما ينتج عنه من اضرار جسيمة، ولذلك فإن الباحثة ستحاول طرح هذه الإشكالية وتحليلها عبر الفترة الزمنية للعصر المملوكي في هذه الدراسة، ومن خلال الرقعة الجغرافية المتمثلة في بلاد الحجاز، عبر سياقات اجتماعية واقتصادية وسياسية، كعوامل متعددة لا يمكن البحث في هذه الظاهرة بدونها.

أما عن الفئات المستهدفة في هذا البحث فإن القارئ سيجدها تحت مسميات عديدة فهم على حسب النصوص الغوغاء- اللصوص- الرعاع- أرباب الفساد- الدهماء- الأشرار- قطاع الطرق- المارقين- الفساق- أوغاد الأرياف- أوباش الأطراف- أوباش الناس ودعارهم- السفهاء- النهابة- السوقة- الجهال- الحرامية

[1]، فضلاً عن العبيد والعربان وباقي الشرائح المهمشة الأخرى التي تورطت في اعمال النهب والسلب إبان فترة الدراسة.

أولاً: اللصوص وقطاع الطرق وأثرهم السلبي على اقتصاد الحجاز في العصر المملوكي:

مثلت بعض الظروف التي مر بها المجتمع الحجازي في العصر المملوكي بيئة حاضنة لظهور مثل هذه الفئات، وتأتي الظروف الاقتصادية على رأس هذه العوامل، فقد كانت العامل الأساسي في انتشار هذه الجماعات، وعلينا أن نلاحظ ان هذه الظروف دفعت أفراد المجتمع للقيام بمثل هذه العمليات، ولم يكن تصنيفهم أساسا لصوص ونهابة وقطاع طرق، فهناك أفراد عاديين فقراء أصحاب أحوال رثة اقتصاديا واجتماعيا دفعهم الغلاء لركوب موجة النهب والاعتداء على مقدرات المجتمع.

ويُفهم من بعض النصوص مدى الأثر السلبي لأعمال النهب على النواحي الاقتصادية، فقد كان تأثيره على الاقتصاد مخرباً، فعلى سبيل المثال كان ميناء ينبع من أبرز الموانئ التي لعبت دوراً مؤثراً في الحياة الاقتصادية والعسكرية، ولكنه أصيب بالتخريب في بعض فترات العصر المملوكي الأول لاختلال الأمن وممارسات النهب والسرقة [2].

وهنا سنعرض ما تضمنته العديد من النصوص التاريخية التي تناقش هذه الإشكالية، ففي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨ م عندما اشتدت الأزمة الاقتصادية وارتفعت الأسعار حصل تشويش ونهب خلق كثيرون حتى ذكرت المصادر أنها أخذت ثيابهم التي عليهم وقتلت جماعة حتى قيل إنهم حوالي أحد عشر شخصا وحصل لأبي نمي صاحب مكة من الجمال المنهوبة ٥٠٠ جمل [3].

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م ، ج١، ق٢، ص٤٠٤.
(٢) محمد الرويثي : المرافيء الطبيعية على الساحل السعودى ، مجلة العرب ، ج٥ - ٦ ، ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م ، ص ٣٢٦ والتي تليها.
(٣) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٤١٩.

بالطبع كما ذكرنا فإن الأوضاع الاقتصادية الصعبة كانت محفزاً كبيراً لشيوع مثل هذه الظواهر، مثل ما حدث عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م ابان غلاء الأسعار وقلة سقوط الأمطار ما أدى ذلك لاستغلالهم الحدث وتم نهب السوق في منى، حتى أن الفاسي ذكر في كتابه شفاء الغرام " تفاقم الأمر" بما يدل على تردي الأوضاع التي آلت إليه نتيجة لعمليات النهب في السوق، وهرب المكيون في الجبال وانطلق معهم جماعة من السرو إلى الجبل فحصل فيهم القتل من العسكر [١].

وفي ذات الإطار في عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧ م قام العبيد بخطف أموال التجار والناس نتيجة لغلاء الأسعار، وقام أمير الحج المصري سيف الدين بوهاي القبجاقي بمحاربتهم في مكة [٢]. وعند اشتداد الأزمة الاقتصادية نهاية عام ٨١١هـ / ١٤٠٨ م وتمثل في ارتفاع أسعار المأكولات، يذكر الفاسي أن أهل الفساد توجهوا الى منى وتم تعرضهم للنهب [٣].

ولم تغفل المصادر عن ربط عمليات النهب والسلب بالأزمات الاقتصادية والاضطرابات الأمنية، ففي عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م ارتفعت أسعار المأكولات واستمر الغلاء في أرض الحجاز حتى عام ٨١٨هـ / ١٤١٥ م، وهنا يردف النص النتيجة الحتمية من ظهور اللصوص قائلاً "فاستغل بعض الحرامية"[٤] كما روت المصادر بوجود الحجاج في عرفة "وخرجوا عليهم ونهبوا وعقروا الجمال"[٥].

وهنا يتحتم بنا الوقوف قليلاً أمام ما قامت به هذه الفئات من عقر الجمال لنتساءل، ألم يكن كافياً لهم السرقة والحصول على ما يريدون من أموال، إلا أن هذه الأفعال تعكس واقعاً اجتماعياً مرتبط ببعض هذه الفئات، وفي الواقع لا يمكن تفسيرها

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٥٠.
(٢) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٧١٥.
(٣) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م ، ج١، ق٢، ص١٨٠.
(٤) وفي بعض المصادر اسمتهم " غوغاء العرب" انظر الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، دار الكتب العلمية (د.ت) ، ج١، ص٤٣٢؛ ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، جامعة أم القرى ، السعودية مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٠٣ ه ، ج٣، ص٤٧٢
(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ٤٣٩.

إلا في إطار سيكولوجي، فمن الأمور السيكولوجية أيضاً التي ترتبط بما سبق ارتباطاً وثيقاً هو الأمر المعروف نفسياً " بالتفريج– التصريف – التنفيس" وهو عبارة عن تفريغ الشحنة العاطفية ذات الطبيعة المؤلمة من خلال وضعية تثار فيها الوجدان لدرجة تزول معها الضوابط الواعية في حالة من المشاركة الوجدانية بين الشخص الذي يعاني وآخرين يتعاطفون معه، والتفريج يعقبه عادة ارتياح عام وعودة السكينة إلى النفس التي تنقاد للتعبير عن المعاناة أو المأساة بحرية تسمح بتصريف كل التوتر المتراكم[١].

وقد يزداد الأمر تطرفاً وصولاً إلى حب الانتقام ورد المظالم الاجتماعية والاقتصادية التي يشعرون بها، وهو ما يرتبط بتلك العملية النفسية التي تعرف "بالشرعنة" وهي العملية النفسية التي تهدف إلى تبرير العدوان على الغير من خلال تأثيمه وتحميله مسؤولية ما يوجد من شر أو مأزق أو خراب مع تبخيس إنسانيته والحط من قدره وتحويله إلى عقبة وجودية في طريق السعادة والوصول إلى تحقيق الذات أو الهدف، ويترافق ذلك مع رد فعل يتلخص ببراءة الذات التي تصور كضحية لذلك الغير ارتباطاً في بعض الأحيان بالتشفي من الآخر، فحسبما عبر أحد الأساتذة قائلاً " إن الجرح النرجسي غير قابل للاندمال"[٢] .

كما أن بعض الفقراء كانوا يستشعرون أنهم أولى بهذه النفقات الموجهة للحج، ويمكن أن نعقد مقاربة لما حدث في الشام في العصر المملوكي التي توضح مدى الإشكال الذي حدث مع الأعباء المادية والدعاء، فعلى سبيل المثال كثر الضرر على المسلمين بدمشق سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) بسبب فرض مال أملاك المسلمين بأجرة شهرين على كل ملك بسبب مشاة يخرجون يذبون عن الحجاج، حتى أن بعض المسلمين دعا على الحجاج بأن لا يرجعوا من كثرة ما حدث لهم من الظلم[٣].

---

(١) مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، د. م، ٢٠٢١م، ص ٢٤١.
(٢) مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، ص ١٩٦.
(٣) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م ، ج١، ص٢٣٣.

وعود على بدء وكما ذكرنا سابقاً فإن التأريخ لمثل هذه الحوادث صار دائماً مرتبط بشكل دائم بين هذه الأزمات وبين هذه الجماعات، وتعود المصادر لتخبرنا ما حدث عام ٨٢٢هـ / ١٤١٩م بأن هذا العام لم يكن عاماً سعيداً من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية فقد كان عاماً حل به الوباء والقحط حتى أن النصوص بالغت في تصوير أفراد المجتمع كذكرهم بأنهم أكلوا لحوم البشر حتى كثر الخوف لدى الناس بأن يقتلوا على يد هذه الجماعات التي احترفت أكل لحوم البشر ، فتربصوا للناس في الأزقة والشوارع ليسدوا صراخ بطونهم ، ونعود لنؤكد بأن هذه المبالغات في التصوير لم تكن من فراغ، وإنما عبرت عن واقع اجتماعي بالغ السوء مدفوعاً بأحوال اقتصادية عاصفة فسخت المجتمع وأظهرت أسوء ما فيه، فعندما اشتد الغلاء وقلت الأقوات أكل الناس القطط والكلاب [١].

وفي ذات المنحى تذكر النصوص أنه في عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م عظم الغلاء في الأسعار وذلك لانعدام الأمطار الأمر الذى دفع بالنهابة إلى أن يخرجوا على التجار لنهبهم وسلبهم، وصورت المصادر عظم ذلك بقولها "ونهبوهم نهباً فاحشاً" بين وادي نخلة والطائف حتى أخذوا ما عليهم وباعوها بأبخس الأثمان [٢].

وفي ذات الإطار هاجم عربان بنى بلى ركب الحجاج الغزاويين عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م وطلبوا منهم دفع شيء من المال فرفض الغزاويين طلبهم فما كان من هؤلاء العربان إلا أن هاجموا هذا الركب واستولوا على ثلاثة آلاف جمل بما تحمله من مال في صورة ذهب وفضة وبضائع بالإضافة إلى قتلهم عدد كبير من الحجاج [٣] .

وفي الواقع كان بعض العربان والبدو تفرض على قوافل الحج إتاوات سنوية مقابل تأمين الطريق شأنهم شأن أرباب الدرك، فإذا انقطعت العوائد المالية من الدولة

(١) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ،ج٣، ص٥٦٧؛ الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج١، ص٤٣٩.
(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٤٤١.
(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص ١٠٧٠-١٠٧١؛ ابن حجر: انباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، وزارة الأوقاف، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١، ج٤، ص٨٩.

المملوكية يقومون بعمليات النهب والسلب لركب الحجيج من مصر أو الشام أو العراق (١).

واستمراراً لما سبق ففى عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣ م وُجد حرامي اسمه عبد العزيز لم يكن يكفي لقمة عيشه من مهنة مع القشاشين بالدلالة حتى امتهن السرقة كصنعة، لب أنه لم يتورع أن يسرق من البيوت المجاورة للمسجد الحرام، حتى أُودع بالحبس وأقر بما سرقة، وحتى يكون عبرة لمن يعتبر فقد صدرت الأوامر بقطع يده ورجله في المسعى (٢).

ومن النصوص التي توضح أيضاً النهب وقطع الطريق التي قاموا بها العربان، أن عربان بني لام المقيمين حول المدينة المنورة قطعوا الطريق على ركب الحجاج عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ م وحالوا بينهم وبين الذهاب إلى طريقهم إلا بعد دفع إتاوة قُدرت بمبلغ ثلاثة آلاف دينار، واضطر أمير الحج إلى جمع هذا المبلغ من الحجاج دفعها لهؤلاء العربان وبعد ذلك سمح للحجاج بالذهاب إلى العقبة (٣).

ثانياً: اللصوص وممارسات العنف وترويع المجتمع:

لم تكن هذه الفئات ترحم باقي الطبقات المجتمعية الأخرى، استخدمت فيها وسائل السلب والنهب والتخريب، فضلاً عما أصابت به المجتمع من فزع وإرهاب، وفي الحقيقة كانت الظاهرة الأكثر حضوراً هي حوادث النهب وقطع الطرقات، وتخطف متاع المارة من الناس، فلم تكن الطرقات آمنة بوجودهم، وكان مجرد المرور بها يمثل خطراً على أمن وحياة المارة وذلك في الطرقات البرية والبحرية على حد سواء، وما يعنينا هنا هو رصد هذه الحوادث كمظهر من مظاهر العنف وترويع المجتمع في سياق محض اجتماعي.

---

(١) ليلى أمين عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٣٢٥.

(٢) الغازي المكي: إفادة الأنام باخبار البلد الحرام، تحقيق: عبد الملك عبدالله دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٢، ص٦٢٤-٦٢٥.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٣٨ .

لقد تضمنت العديد من النصوص التاريخية مشاعر الخوف المرتبطة بانعدام الأمن في الطرقات وما ترتب عليها من إجراءات واحترازات، مثل ما حدث سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م عندما نودي بأنه من أراد الحج فلا يتأخر خشية الطريق وذلك لما حدث من انقطاع الطريق إلى مكة من جهة مصر وخوفا من المفاسد التي تحدث نتيجة ذلك[١].

لقد قام بعض المهمشين من العربان والغوغاء من العوام ببعض الفساد والنهب والقتل، فتشير النصوص إلى العديد من الأمثلة ، فقد غزا السيد حسن عرب البقوم وهم يسكنون في وادي تربة وما حوله من وادي كراء، فغنم منهم مائة ناقة وغنما وبقرا، وقد وكل حفظهم لبعض غلمانه الضعفاء فاستنقذ ذلك منهم العرب المنهوبون وقتلوا من غلمانه[٢]، وكذلك نجد أنه في سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م نهب العرب حاج المغاربة[٣]، فضلاً عما حدث سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م نهبت حاج اليمن[٤] ، وبالإضافة إلى ما سبق في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م نهب بعض عرب مكة الحاج اليمني وكان يؤخذ منهم على كل جمل ثلاثين درهما ، ومن حاج مصر على كل جمل خمسين درهما ، مع كثرة النهب والعسف[٥]، وفي سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وقع بين أهل مكة والحجاج فتنة ، فاقتتلوا وشهر بالمسجد الحرام نحو عشرة آلاف سيف، وقتل نحو أربعين فردا وجرح الكثير منهم ونهبت الأموال[٦]، وفي سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م قتل جماعة من الحجاج ونهبوا بعرفات ومكة، وكان قسم أبي نمى خمسمائة جمل من النهب[٧] ، وفي سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م نهب حميضة ورميثة بعض التجار[٨].

---

(١) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كمال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.، ج١ ، ص٢١٤.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى ،ج٣، ص٤١٣.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٠٧.

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى ،ج٣، ص٩٧ .

(٥) ابن فهد: إتحاف الورى ،ج٣، ص١١٦ .

(٦)ابن فهد: إتحاف الورى ،ج٣، ص١٢٠ .

(٧)ابن فهد: إتحاف الورى ،ج٣،ص١٣١؛ الفاسي:شفاء الغرام ،ج٢،ص٤١٩؛ الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج١، ص٣٨٥

(٨) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص١٤٨؛الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق : محمد حامد الفقى ، فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦ ،ج٤، ص٤٠٦؛ الجزيري: الدرر الفرائد ، ج١، ص ٣٨٩.

لقد نقلت المصادر العديد من الأمثلة عن الدور السلبي الكبير الذي قام به قطاع الطرق مساهمين فى عمليات ترويع المجتمع ، فنجد مثلاً أن أحد قطاع الطرق ويدعى ثقبة أقام سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م بالخبت وهو بين مكة والمدينة لقطع الطريق على من يأتي من حلى إلى مكة من التجار والحجاج والمجاورين(١) ، كما اعترض أحد قطاع الطريق قاضي مكة أبو الفضل النويري والشيخ بهاء الدين السبكي في طريقهما إلى المدينة المنورة سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م وكان معهما قافلة، ونهب هذه القافلة حتى دفع له القاضي النويري ألفا وسبعمائة درهم لترك القافلة فأخذهم وتركها(٢).

ومن الحوادث الأخرى الواردة فى ذات السياق تلك الحادثة التى أشارت إلى خروج قريش بن زامل ومعه بعض العرب سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م على حجاج شيراز والبصرة في الحسا، ونهبهم وقتل منهم كثيراً ورجع ما بقي منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة صحبة حاج بغداد، وجبى قريش المشار إليه من ركب العراق عشرين ألف دينار عراقية حتى مكنهم من التوجه إلى مكة(٣).

وحسب أمثلة أخرى فقد كانت الفتن بين عناصر المهمشين عاملاً محفزاً لممارسات النهب بشكل كبير، فعلى سبيل المثال في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م ثارت فتنة بين عبيد صاحب مكة وبين التجار ونهبوا منهم شيئا كثيرا (٤).

وفى ذات الإطار فقد جمع كبيش بعض الأعراب وقصد بهم جدة واستولى على صهاريجها ونهب أموال التجار ونهب ثلاث مراكب الكارم، فقدر كل ذلك بستمائة ألف مثقال من الذهب، وصار عبيدهم ينتشرون في الطرقات ويخطفون كل ما يجدونه أمامهم، وقد أثر ذلك بشكل كبير على نفسية باقي فئات المجتمع حيث انتشر

(١) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص٢٧٧ .
(٢) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص٣١٥ .
(٣) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص٣٤٢؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م ،ج١، ص٢٧٨-٢٧٩؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ، طرابلس ، ١٩٧٤ م ،ج١، ص٨٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق٢،ص٣٤١ .
(٤) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج١ ، ص٣٠٣ .

الذعر بين الناس سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م[١]، وفي نفس السنة استولى بعض الأعراب على وادي مر وجدة ونهبوا بعض تجار اليمن وأفسدوا في الطرقات[٢].

لقد كانت هذه الحوادث عاملاً من عوامل تخريب المجتمع، فقد خاف كل صاحب تجارة على حياته وتجارته، وكان هذا عامل كبير من عوامل الإضعاف للمجتمع، ففي سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م خرج الأعراب ومعهم العبيد الخشافة الى جدة لنهب مركب قادم من مصر به قمح وشعير وفول، وصاروا يفسدون في الطريق ونهبوا تجار مكة، ونتيجة لذلك فقد ترك التجار مكة واتجهوا إلى ينبع لقلة الأمان بها وبجدة [٣].

إن المهمشين إبان سخطهم الاجتماعي لم يتورعوا عن القيام بأقسى أنواع الجرائم ومنها جريمة النهب والترويع والقتل بطبيعة الحال، فقد قاموا بنهب حجاج المغاربة سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م[٤]، كما قام بعض العربان بقتل بعض الحجاج سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م لوقوع فتنة بينهم فغلا بذلك القمح والشعير والعسل والعجوه [٥] .

لقد ارتكبوا جريمة القتل لأسباب تبدو بسيطة ولكنها كانت تعبر عن حنق اجتماعي، فتشير إحدى النصوص أنه حصل في نفوس بعض أعراب الحجاز من أحمد بن خليل المكي شيء لتقصيره في خدمتهم فقدر أنه وافق بعضهم في السفر إلى مكة في سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م فقتل بين العقبة وينبع ووصل رفيقه بحوائجه، وذكر أنه فارقه ليلا لحاجة في بعض الطريق، فجاءه من لا يعرفه فقتله واتهم به رفيقه [٦]، وفي نفس السنة قطع اللصوص الطريق على إبراهيم بن محمد الرصافي وقتلوه وكان من ذوي اليسار[٧]، ويمكن أن نضع كلمة ذوي اليسار في مقابل لجريمة القتل التي قاموا بها كشكل من أشكال التفسير الاجتماعي لهذه الحوادث.

---

(١) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص٣٥٧، ٣٦٢ .
(٢)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص٣٦٨ ؛ الفاسي: العقد الثمين،ج٦،ص٢٠٧ .
(٣)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣، ٣٨٨-٣٨٩؛ الفاسي: العقد الثمين،ج٦،ص٢١١ .
(٤)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج٢، ص٣٧٩ .
(٥)ابن حجي: تاريخ ابن حجي ، تحقيق : أبو يحيى عبد الله الكندري ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٣ ،ج٢ ، ص٨٣٥ .
(٦)السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م ،ج١ ، ص٢٩٥ .
(٧)السخاوي: الضوء اللامع ،ج١ ، ص١٧٠ .

كما تشير النصوص أن زهير بن سليمان بن زيان بن مصور بن شيحة الحسيني كان فاتكا يقطع الطريق على الحجاج وينهبهم [١]، فنهب السيد زهير الحسيني حاج عقيل وشتتهم وأخذ أموالهم وجمالهم وأحمالهم سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م ، وفي نفس السنة أيضاً خرج قطاع طريق من صاهلة وهذيل وعدوان البدويين على الحجاج بمضيق منى وأخذوا أحمالهم وجمالهم [٢]، كما نُهبت المدينة الشريفة من علي بن عطية الحسني[٣].

وفي ذات المنحى خرج طائفة من العرب على جماعة من الحجاج متوجهين لزيارة البقيع فقاتلوهم، وقتل من المماليك المجردين ثلاثة [٤] . وأثناء عودة فارس الدين الذي كان قد عين لعمارة العين نازعه هناك في ذلك عرب بني شعبة، وجمعوا له، فتحارب معهم وقتل منهم جماعة، وقتل لفارس الدين مملوكان، وهزم العرب[٥].

كما خرج عرب بلي[٦] على بعض أهالي ينبع والقدس أثناء عودتهم من مكة سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م يطلبوا منهم المال كنوع من أنواع الإتاوة المفروضة للسماح لهم بالعبور، وبالفعل فقد أعطاهم الينابعة المال فتركوهم لحالهم ومضوا، أما أهل غزة فرفضوا، وهنا لم يتورع العربان في فعل الجرائم التي اعتادوا عليها في هذه الظروف حيث رموهم فرمى العرب بالنشاب وقتلوا منهم ثلاثة ومالوا على الركب يقتلون ويأسرون[٧].

ولا تتوقف الأمثلة التي تصور مدى الدور التخريبي الذي قامت بها هذه الفئات، ففي سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م نهب بعض الأعراب حجاج الينابعة والكركيين أموالهم

---

(١)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج٣، ص٥٥٨؛ السخاوي : الضوء اللامع، ج٣، ص٢٣٩ .
(٢) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٣،ص٦٢٤ .
(٣) المقريزي: السلوك،ج٣، ق٢،ص٥٦٢؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م . ،ج٢، ص٢٤؛ابن إياس: بدائع الزهور،ج١ ،ق٢،ص٣٨٩ .
(٤) ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل، ج٥، ص٩١ .
(٥) المقريزي: السلوك، ج،٢ ق٣،ص ٧٩٨؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل،ج١ ، ص١٨٤ .
(٦) نسبة إلى بلى بن عمر الحافى ، كانت مساكنهم تقع بين المدينة ووادى القرى ، ويذكر البعض أن مساكنهم كانت شمالى جهينة إلى عقبة آيلة الواقعة على العدوة الشرقية من البحر الأحمر ، كما انتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وأصبحت ديارهم فى مصر هى أخميم من صعيدها وما تحتها . انظر : عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٩ م، ج١ ، ص ١٠٤ وما بعدها .
(٧) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص١١٧ ـ ١١٨ .

وقتلوا عشرين شخصا من أهل ينبع [(١)]، وفي سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م أغار بعض العربان على عرب مطير[(٢)] وأخذ منهم عدة من الأبل والفرس وقتل ثلاثة منهم[(٣)] .

ولم تتورع هذه الفئات إبان فورانها عن القيام بأشد أنواع الأعمال تطرفاً، ففي إحدى الحوادث لم يتورعوا عن نهب المدينة النبوية فنهبوها وخربوا مواضع من سورها، وأخذوا ودائع كانت بها للحجاج وأهانوا حرمة المسجد النبوي [(٤)].

وتشير النصوص أن السراق كانوا يخطفون أحمال الحجاج من عرفة ومزدلفة ويصعدوا الجبل، فجعل السيد بركات تحت الجبلين جدارا من رضم من الطرف الشرقي إلى الطرف الغربي وأعلاه، بحيث صار السارق أذا أخذ شيئا وأراد الطلوع إلى الجبل لا يلقى طريقا أمامه فيتم القبض عليه[(٥)].

ثالثاً: السلطة ومقاومة الفئات المنحرفة من المهمشين:

تراوحت سياسات السلطة تجاه الفئات المهمشة بين السياسات الودية والسياسات العقابية، فضلاً عن عقد تحالفات مشبوهة مع بعض هذه الفئات لأجل تحقيق مكاسب وأطماع سياسية أو اقتصادية أو لترسيخ النفوذ ، أو كانت سياستهم بشكل عام غير مدروسة، وبالتالى كانت تنعكس على تطور وشيوع أعمال النهب والسلب وهو ما ناقشته بعض الطروحات، ففى بعض الأحيان أثرت السلطة على حياة المهمشين بشكل غير مباشر، ففى مواسم الأمطار كانت تتوقف العديد من مظاهر الحياة، وبالتالى تنتشر عمليات السلب والنهب، وكان هذا لسوء تخطيط الأمراء أو اهتمامهم بمواجهة هذه الأمطار، وبالتالى تنعكس سلباً على واقعهم الحياتي، فاستأثروا بموارد

---

(١) المقريزي:السلوك، ج٤، ق٣، ص١٢٢٨؛ ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص١٦٥ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٢٢٩ ؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٤٩.

(٢)عرب مطير: من كبائر قبائل الجزيرة العربية ، كانت منازلها ممتدة بين المدينة وعقيق عشير، وكانت ديارهم بين قبيلتين حرب وعتبة ثم انضما إلى بعضهما فاخذتا تضغطان عليها من الشمال إلى الجنوب ، حتى اضطرت معظم مطير إلى الجلاء شرقا. ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٢٢٧،هامش٢ .

(٣)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٢٢٧ .

(٤)المقريزي: السلوك،ج٤،ق٢،ص ٧٢٨؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج٣،ص٣٧٣؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٣٠٥؛ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل،ج٤، ص٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٥)عبد القادر الشافعي: السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة ، تحقيق : على محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر د.ت ، ص٤٤ .

البلاد ولم ينفقوا منها على المرافق الحيوية [١]، وعلى جانب آخر لا يقل سلبية فإن كثير من هؤلاء الأمراء يحرض الطبقات الشعبية المهمشة لنهب خصومهم والمشاركة فيما يحصلون علية من أسلاب[٢] ، وإن اللصوص المدفوعين بدعم من السلطة أو حسبما أسماهم أحد الباحثين " اللصوص المحميين بولائهم للسلطة الحاكمة" ، وكان أشدهم العبيد الذين كانت لهم سمعة سيئة في التعرض لأموال الناس والتجار والحجاج [٣] ، ولأن هذه الفئات لا تظهر إلا وقت الغزو والصراع والقتال وتتنحى وقت المكاسب ، فمن المناسب أن نذكر ما أوردته بعض الطروحات التي حملت السلطة بعض المسؤوليات الخاطئة تجاه المجتمع بصفة عامة والمهمشين بصفة خاصة ، فعلى سبيل المثال كان من الممكن أن تكفي الموارد سكان الحجاز وتعينهم على عيش حياة كريمة ، ولكن استئثار بعض الفئات دون غيرها وفى مقدمتهم الأشراف ساهم فى ذيوع وانتشار حالات الفقر في المجتمع [٤] .

وفى المجمل فإن السلطة واجهت فئات النهب في غالب الأحيان بشكل صارم لما لهذه الفئات من آثار بالغة السوء على كافة أحوال المجتمع بما فيها مكانة السلطة نفسها ، والحديث هنا عن السلطة بطبيعة الحال يشمل السلطة المملوكية وسلطة الأشراف ، كما كان تأمين قوافل الحج قابعاً على رأس مهام شريف مكة ، ولذلك فقد

---

(١) أحمد السباعى : تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.، ص ٤٦١ .

(٢) محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص١٢٩ ، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م عندما تم الحكم على الشريف ابن عين الغزال بالشنق هو وعبد له نتيجة مشاركتهما فى قتل اثنين اشتركا فى سرقة مبلغ نقدى من بيت أستاذهم وكان تاجراً ، وعندما ذهبوا صحبة الشخص الذى رتب لهما السرقة وكان هندياً إلى بيت الشريف أطعمهما مخدر حتى ناما وقام بمعاونة عبد له بحفر حفرة كبيرة فى البيت وأنزلا الشخصين فيهما وسقفا عليهما بخشب ووضعا التراب عليهما حتى ماتا ، وعندما امتنع الشريف إعطاء الهندى مبلغ من المال قام بإخبار التاجر الذى اشتكى للأمير جانبك الذى واجه الشريف بفعلته وعوقب بالشنق هو والعبد الذى كان فى خدمته . انظر : ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص ١١٣ والتى تليها ؛ عدنان الشريف: وظيفة الأمير الراكز فى مكة المكرمة خلال العصر المملوكى " نشأتها ، تطورها ، اختصاصات صاحبها ، بحث منشور فى مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠١٣ ، ص ٢١٠ ، وارتباطاً بنفس هذه الإشكالية نجدها فى مصر فى العصر المملوكى فعلى سبيل المثال قام الأمير أيدغمش العناصر الشعبية لنهب حواصل وممتلكات الأمير قوصون فنهبوا شيئًا كثيرًا من إصطبله وقصره وخانقاته وبيوته وتتبعوا حواشي قوصون وصاروا إذا أرادوا نهب أحد قالوا هذا قوصوني ففى الحال يذهب كل ماله ، وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد وشمل الخوف كل أحد ، فقام الأمراء على الأمير أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب ونشر الخوف ، وللسيطرة على هذه الفوضى عملوا على القبض على العوام وضربهم بالمقارع وأشهروهم فانكفوا عن النهب . انظر : المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ق٣ ، ص٥٩٢ ، ٥٩٣.

(٣) عبد الحفيظ السالمى : الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة ، رسالة دكتوراة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٨ – ١٤٢٩ / ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ ، ص ٢٢٦ .

(٤) ك.سنوك هور خرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١، ص١٩٥.

كانت المصلحة السياسية تدفعهم للحفاظ على علاقات طيبة مع القبائل العربية الموجودة على طريق القوافل ، وفيما يتعلق بالفئات التي تمارس أفعال العصيان أو ممارسات عدوانية كان يعتمد فى اخضاعهم على تلك القبائل الموالية له كشكل من أشكال التعاون السياسي فى هذه الفترة (١) ، وإمعاناً فى تنفيذ هذه الإستراتيجية فقد قامت السلطة في بعض الأحيان بتوزيع الهبات والعطايا على قبائل العربان القاطنة على طرق الركب ، وكما كانت هذه القبائل مصدر خوف وخطر لأمراء الحج والحجاج فقد كانت خير وسيلة حسب رؤيتهم للحد من هذا الاعتداء تعيين هذه القبائل خفراء فى طريق الحج مع إعطائهم إتاوات سنوية فى سبيل تأمين الحماية الكافية للحجاج (٢) .

أ/ السلطة المملوكية:

وقفت السلطة المملوكية موقفاً صلباً تجاه أعمال النهب وقطع الطرق، فقد أدركت أن وجود مثل هذه الأعمال كفيل بأن يهدد أمن وسلامة المجتمع ومكانة وشرعية السلطة لذلك وقفت لها بالمرصاد ، وقد نقلت المصادر التاريخية أمثلة عديدة عن هذا الطرح ، فعلى سبيل المثال نجد أنه في عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥ وقعت فتنة بين جماعة من المكيين والبدو من العربان في سوق منى حتى أن المفسدين استطاعوا تأجيج نار الفتة حتى يتمكنوا من النهب والسلب ، وترامت الأنباء لأمير الحج المصري قبل أن يتصل بأصحاب السلطة، فرأى أن دفع ضريبة الأمن لايتفق مع حركات النهب والسلب حتى أراد بذلك أن يؤدب أصحاب الفتنة (٣)، وحسبما ذكر الفاسى " فلم يحصل ذلك إلا بالسوق خاصة" (٤)، حتى تفاقمت الأوضاع وانطلق العسكر المصري خلف أصحاب هذه الفتنة ، فهرب المكيون في الجبال وانطلق

(١) عائض الردادى : الشعر الحجازى فى القرن الحادى عشر الهجرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٣ ه، ١٩٨٣ م ، ص ٨٢ .
(٢)عائشة مانع العبدلى : إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤١٩ ه ، ١٩٩٩ م ، ص ١٠١ .
(٣) أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج ١، ص٣٠٤-٣٠٥.
(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٤٢١.

معهم جماعة من البدو حتى استطاع الجيش المملوكي المصري بقوة سلاحهم القبض على جماعة من البدو ، وقد بلغت ردة فعل السلطة المملوكية ممثلة فى أمير الحج أن قدم هذه العناصر قرباناً عوضاً عن البدن التي كان يريد أن ينحرها[١] ، وبذلك اتضح من دلالة النص مدى الصرامة الشديدة في مواجهة هذه الفئات .

ونقلت لنا حوادث عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م ممارسات النهب والسرقة التي تزامنت مع سوء الأحوال الاقتصادية ونهب سوق منى وتفاقمت الأوضاع بما يدل على تردي الأوضاع التي آلت لعمليات النهب في السوق وهرب المكيون في الجبال وانطلق معهم جماعة من السرو إلى الجبل فحصل فيهم القتل من العسكر [٢] ، وبالطبع فإن السلطات لم تقف مكتوفة الأيدي أمام مثل هذه الأفعال فينقل لنا النص أن السلطة المملوكية ممثلة في أمير الحج المصري سيف الدين الفقيه بالقبض على جماعة السراق ووسطهم عند الجمرة [٣] .

وتؤكد الباحثة على موقف السـلطة المملوكية من تحركات اللصــوص والنهابة بأنها وقفت ضدهم، ولدينا العديد من الأمثلة التي تؤيد هذا الطرح، فنجد على سبيل المثال أن الأمير المملوكى ســلار [٤] كان حريصـــاً على حفظ الأمن في بلاد الحجاز وكذلك الحجاج، ويتضــح ذلك عندما قام بعض العربان بالهجوم على عدة جمال للحجاج فعندما علم الأمير ســلار بهذا قام بإرســال رجاله وراءهم وتتبعهم

(١) ابن فهد: اتحاف الورى، ج٣، ص١٤٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٤٢٠-٤٢١؛ الجزري: الدرر الفرائد، ج١، ص٣٨٨.
(٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٥٠.
(٣) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق٢، ص١٨٠.
(٤)الأمير سلار: هو الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله المنصوري، تولى منصب نائب السلطنة المملوكية بمصر، كان تركى الجنس، اشتراه المنصور قلاوون قبل تقلده أمور السلطنة، منحه لابنه الصالح علي ثم رجع إليه بعد وفاة الصالح ثم خدم ابنه الأشرف خليل، ثم صار نائب السلطنة المملوكية في فترة حكم الناصر محمد الثانية توفي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م بعد أن عاد الناصر للحكم وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب .الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ج٢، ص٨٦- ٨٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م ، ج١٦، ص٣٣؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م ، ج٢، ص٢٩- ٣٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م ، ج٦، ص٥-٨؛ السيوطي : الكنز المدفون والفلك المشحون، المطبعة العامرة، مصر، ١٢٨٨ه، ص٣٥ ، ٣٦ ؛ابن سباط: صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان، ١٩٩٣م، ج٢، ص٦٠٦- ٦٠٧؛ الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ج١ ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ ؛ محمد عبد الغنى الأشقر: سلار الأمير التتري المسلم نائب السلطنة المملوكية في مصر(٦٦٠-٧١٠هـ/١٢٦٠-١٣١٠م)، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ٤٢، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠٠م، ص١٣-٢١.

فمسك منهم نحو الخمسين رجلاً وعرض الأمر على الفقهاء فأفتوه بأنهم محاربون فتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف(١).

وفي إطار مساعي الدولة للحفاظ على أمن وسلامة المجتمع فقد عين المماليك حاميات للإقامة بمكة والمدينة سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، أما في مكة فلحفظ البضائع الواردة من الهند من عبيد مكة وسفهائها، وأما في المدينة فلقمع الرافضة الذين تسلطوا على أهل السنة بها(٢).

إن النصوص التاريخية تنقل لنا كيف كان اللصوص يقفون بالمرصاد أمام الحجاج والتجار، هذا وقد عملت الدولة بشكل أساسي على استتباب الأمن على طرق مرور التجارة، لذلك عمل الحكام على مراقبة الطرق مراقبة كبيرة (٣)، وما يعنينا هنا في هذا الإطار هو رد فعل السلطة على مثل هذه التحركات فقد نُقل أن السلطان جقمق أمر بقطع الأشجار وإزالة الصخور الموجودة فى طريق عرفة والتى كان يختبأ وراءها قطاع الطرق واللصوص (٤).

فى ذات المنحى نجد أنه في سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م عندما توجه بعض الأمراء لكبس العرب الذين يقطعون الطريق فرجع وقد قبض على جماعة منهم ومن الفلاحين بالقرنة فقتل جماعة ووجدوا عندهم من القماش الذي أخذوه من الناس فنهبه العسكر(٥)، وفي السنة التالية توجه النائب إلى الجهة القبلية إلى ناحية بصرى وهابه الأعراب فلم يتعرضوا في هذا العام لشيء من الغلات(٦).

وفى إطار الحديث عن دور السلطة فى إقرار الأمن والتصدي للفئات المنحرفة فنجد أن السلطان برقوق (الأولي ٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)،

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .
(٢)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج٤، ص١٣٧ .
(٣) ابن فهد : بلوغ القري ، ص ١٢٣ .
(٤) النهراوى: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ص ١٤٧ .
(٥)ابن حجي: تاريخه، ج١، ص٥٢٥ .
(٦)ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٥٩٠ .

(الثانية ٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٨م) كان يرسل الفرقة العسكرية المتخصصة لحماية الحجيج وإقرار الأمن فى مكة فى موسم الحج وهي فرقة "سحابة" مع منحها كافة الصلاحيات والتسهيلات والتمويل الكافي لتمكينها من أداء مهمتها [١] ، ومن الواضح أن الوضع الأمني فى مكة فى تلك الآونة لم يكن مستقراً فشاع قطع الطرق ونهب الأموال وسلب الأمتعة ، لذا فقط كانت أولوية السلطة المملوكية حسم أي صراع على السلطة في مكة للقضاء على أي فراغ سياسي من شأنه السماح لهذه الأعمال التخريبية بالحدوث [٢] .

كما نجد أن السلطان برسباى (٨٢٥- ٨٤١هـ / ١٤٢٢- ١٤٣٧م) قد أرسل حامية إلى مكة المكرمة بقصد ضبط أحوالها والمحافظة على الأمن بها [٣] ، وقد تمتع قائد هذه الحامية بوضعية كبيرة ومركز ممتاز فى البلاد [٤] . وقد تضاعفت هذه الحاميات [٥] في عصر السلطان جقمق (٨٤٢- ٨٥٧هـ / ١٤٣٨- ١٤٥٣م) كما تعددت الأغراض من وجودها ، إذ أرسل إلى مكة والمدينة قوتان من المماليك تقيمان فيها ، فقوة مكة كان يوكل إليها حراسة البضائع التي كانت ترد إلى مكة من الهند وحمايتها من اعتداء عبيد مكة وسفهائها [٦] ، وما يعنينا هنا أن هذا النص يفيد بقيام عناصر من المهمشين أسماهم النص بالعبيد والسفهاء تركزت هجماتهم على التجارة الوافدة إلى مكة ونهب البضائع الواردة إليها .

واستمراراً لما سبق فقد هاجم عربان بلي ركب الحج الغزاويين عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م وطلبوا منهم دفع شيء من المال فرفض الغزاويين طلبهم ، ولذلك قام هؤلاء

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ .
(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ج٥ ، ص ٤٢١ .
(٣) ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٤٠ه/٢٠١٩م ، ص١٧٧
(4) *D.Gaury, Rulers of Mecca.george G. Harrap, London, Sydney, Toronto, Bombay, 1950.107.*
(٥) حسبما يذكر أحد الباحثين أن هذه الحاميات لم يكن لها دور فى منع الثورات الداخلية والتعدى على الناس الآمنين أثناء الثورات بل استمرت الثورات طوال العصر المملوكى ، مما يدل – حسب قوله – أن الحاميات كانت محدودة النشاط فى مشاركة حاكم مكة فى حفظ الأمن أثناء انعدام الثورات ، وأنها أصبحت مجرد قوة شرطة بسيطة ، وليست قوات مسلحة تستطيع أن تكبح جماح الثائرين من أبناء البيت الحاكم أو حتى من غير أبناء البيت الحاكم . انظر : عبد الحفيظ السالمى : الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة ، ص ٢٠٨.
(٦) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٢ ، ص ٢٨١ .

العربان بمهاجمة هذا الركب، وبلغ جملة ما سلبوه منهم ثلاثة آلاف جمل بما تحمله من مال فى صورة ذهب ، فضلاً عن قتلهم عددا كبيرا من الحجاج ، ومن قُدر له النجاة فر إلى القاهرة فى أسوأ حال، ويحمل المقريزي الدولة مسؤولية هذا الحادث بقوله "فكانت هذه الحادثة من شنائع ما أدركناه ، ولم يمتعض لها أحد لإهمال أهل الدولة الأمور وإعراضهم عن عمل المصالح" (١) ، ورغم ما ذكره المقريزي إلا أن السلطة المملوكية لم تقف مكتوفة الأيدي فقد كلف السلطان جقمق الأمير سودون المحمدي (٢) للتصدى لهذه الهجمات ، وخصص له تمويل كبير وصحب معه مائة مملوك، وكانت التعليمات بأن يستخدم الشدة المفرطة لتأديب هذه الفئات ، وما يعنينا هنا أن السلطة المملوكية وقفت بالمرصاد ضد هذه الأعمال التخريبية ، أما النقطة الأخرى الأكثر أهمية أن سودون المحمدى نفسه قد استعان بقوى أخرى من العربان مثل عربان التركمان وعربان ينبع لمعاونته (٣) ، كما أرسل السلطان أيضاً أحد الأمراء ويُدعى شهاب الدين أحمد بن إينال بقوة أخرى لذات الغرض، وفي النهاية تم التصدى لهجمات بني بلي ، وقتل منهم عدد كبير (٤) .

وتوجه الأمير محمد بن علي بن إينال أمير شكار وبصحبته عسكر من الترك والعرب سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م لدفع قبيلة بلي المفسدين في طريق الحجاز، فظفروا بطائفة منهم، وقبضوا عليهم واستمروا إلى أن دخلوا بلاد بلي(٥).

وفي سنة٨٤٤هـ/١٤٤٠م عمر الأمير سودون المحمدي في المسجد الحرام وطرف المشاعر العظام كمنى ومزدلفة ومأزمي العقبة فرفع الأحجار وقطع الأشجار في ذلك، لأنها كانت موطنا للسراق يكمنون فيها لقطع الطريق على الحجاج (٦).

(١) السلوك ، ج٤ ، ق٣ ، ص ١٠٧١ .
(٢) سودون المحمدي: يُعرف أيضا بإسم سودون أتمكجي ويعنى الخباز، ويعرف بالمؤيدى نسبة إلى أستاذه المؤيد شيخ، وقد صار بعد موت أستاذه خاصكياً، ثم استقر رأس نوبة الجمدارية في أيام الأشرف برسباي، ثم أمره الظاهر جقمق وجعله من جملة رؤوس النواب، ثم أمير آخور ثالث ثم ثاني، وقد توفي سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م. انظر : السخاوي: التبر المسبوك، ج٢، ص٢٠١؛ الضوء اللامع، ج٣،ص٢٨٦.
(٣) ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج٤ ، ص٥٠ والتى تليها .
(٤) المقريزى : السلوك ، ج٤ ، ق ٣ ، ص ١١٠٥ .
(٥)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج٤، ص١٤١ .
(٦)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص١٦٥ .

وفي نفس السنة نزل إينال الحسني ومعه جمع كثير من العربان لنهب المدينة، فخرج إليه أميرها سليمان فخذل وانهزم ورجع سليمان منصورا(١). وفى ذات السياق فقد ركزت السياسة المملوكية على عمليات التأمين الكبير لخط سير الحجاج والحفاظ على أمن الطرق وما ترتب عليها من إجراءات واحترازات، مثل ما حدث سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م عندما نودي بأنه من أراد الحج فلا يتأخر خشية الطريق، وذلك لما حدث من انقطاع الطريق إلى مكة من جهة مصر وخوفا من المفاسد التي تحدث نتيجة ذلك(٢).

واستمراراً لما سبق ففى عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣ م وُجد حرامي اسمه عبد العزيز فلم يكن يكفي لقمة عيشه من مهنة مع القشاشين بالدلالة حتى امتهن السرقة كصنعة ، لب أنه لم يتورع أن يسرق من البيوت المجاورة للمسجد الحرام ، حتى أُودع بالحبس وأقر بما سرقة ، وحتى يكون عبرة لمن يعتبر فقد صدرت الأوامر بقطع يده ورجله في المسعى(٣).

وتتجلى هذه الإشكالية فى الحديث عن بناء بعض الأسوار فى مكة المكرمة وجدة (٤) كنوع من أنواع التحصينات المقاومة لهذه الفئات، وكذلك أقام الغوري تحصينات وأبراج أخرى وشحن هذه الأبراج بالأجناد الذين يتم تبديلهم كل عام وكان الغرض من ذلك أن تقوم هذه الحاميات بحماية السابلة وسالكي هذه الدروب من الحجاج (٥).

لقد كان المناخ الإجتماعى السائد آنذاك عبارة عن هجمات تخريبية ونهب وسفك من بعض عربانها البغاة وبدوانها الطغاة – حسب تعبير النص – وهم بني إبراهيم

(١)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج٤ ، ص١٥٧ .
(٢)السخاوي : التبر المسبوك، ج١ ، ص٢١٤ ، ومن الجدير بالذكر أن الطريق إلى الحج وما ارتبط به من ظهور بعض الفئات المخربة كان عاملاً من عوامل شيوع الخوف فعلى سبيل المثال فى سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م نادى السلطان الأشرف قانصوه الغوري بأن امرأة لا تحج هذه السنة خوفا على الحجاج من فساد العربان . انظر : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص٥٠.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١١١.
(٤) كان ثغر جدة مورداً مالياً هاماً للسلطنة المملوكية فى مصر لما كانت تجبيه منه من أموال طائلة فى كل سنة من المكوس. انظر : خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م ، ص ١٤ .
(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٤ ،ص ١٥١

من أهل ينبع وزبيد ومن تبعهم من أهل الفساد والزيغ والعناد ، خرجوا عن الطاعة وخالفوا من أوامره ونواهيه واجبة عليهم، ويستمر النص فى وصف الممارسات الشنيعة التى قامت بها هذه الفئات أنهم استعانوا أيضاً بطائفة من عصبة الشراكسة يسمون العادلية ، كما يروي النص أيضاً أنهم كانوا يقبضون على بعض رجال السلطة ولا تخلصهم إلا بالحصول على فدية من المال ، ويستمر النص فى نقل المعلومات بأن السلطان الغورى ما إن علم بذلك ، وأن أحد أسباب الفساد هذه عدم وجود سور يصد هذه الاعمال التخريبية، حتى أرسل أحد الأمراء فى قوة عسكرية كبيرة قدرت بألف فارس بالإضافة إلى الرماة والمشاة وكان هذا في عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ م [١]، وقد كانت المهمة الأولى لهذه القوة أن تتعامل مع هذه المخربين التى وصفهم النص بأنهم أهل الفساد والزيغ والعناد والظلم والعناد ، ومن الأمور البالغة الأهمية أن هذه الفئات المنحرفة المدفوعة ببعض القوى السياسية في الحجاز انقلبوا على أعقابهم ناكصين وكتبوا على أنفسهم تعهدات، وأرسل السلطان الغوري شروطا بأن يأخذوا عليهم الأيمان الغليظة فحلفوا ، وبعد رجوع العساكر إلى مصر عادوا مرة أخرى إلى عهدهم القديم فنكثوا العهد ونهبوا مكة وجدة وأظهروا فيها الفساد [٢]، ورغم أن بعض النصوص تذكر أن حملة السلطان الغوري لإعمار جدة ومكة كانت بسبب الغزو البرتغالي ، إلا أن النص السابق بالإضافة لنص ابن اياس ذكروا بوضوح أن أعمال السلب والنهب التي قاموا بها كانت السبب الرئيسي لهذه الحملة [٣] ، ومن الجدير بالذكر فقد كانت المهمشين والفقراء عناصر أساسية التي اعتمد عليها في بناء مثل هذه الأسوار والإنشاءات [٤] .

(١) فى نفس العام حدثت هجمات أخرى من عربان بنى لام حيث قطعوا الطريق على ركب الحجاج الذى كان بقيادة الناصرى محمد بن خاص بك وحالوا بينهم وبين الذهاب إلى العقبة إلا بعد دفع إتاوة ثلاثة آلاف دينار ، واضطر أمير الحج لدفع هذا المبلغ للعربان وبالتالى تم السماح لهم بالذهاب للعقبة . انظر: ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٨ .
(٢) عبد القادر الشافعى : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة ، ص ٣٨ .
(٣) بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٦٥ .
(٤) عبد القادر الشافعى : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة ، ص٤٢ .

وفي الحقيقة فإنه يمكننا أن نعتمد على النص السابق للوصول لبعض الحقائق الهامة منها تعامل السلطة المملوكية السريع مع التحركات التخريبية، ولم يقتصر رد الفعل على التحرك العسكري فقط بل شمل ذلك أيضاً تحرك استراتيجي وهو بناء سور للوقاية من مثل هذه التحركات مستقبلاً، فضلاً عن تورط بعض القوى السياسية في الحجاز بالاستعانة بمثل هذه الفئات لتحقيق مآرب وأطماع سياسية واقتصادية.

كما وجدت وظائف ذات طابع خاص كانت إحدى مهامها ردع قطاع الطرق والحد من مخاطر عصابات النهب والسلب والعمل على الإمساك بهم ومعاقبتهم وهي وظيفة الأمير الراكز، وقد عاون الأمير الراكز أشراف مكة بقواته وصلاحياته فى التصدى لجماعات النهب في العديد من المناسبات [١] ، فضلاً عن وظائف أخرى مثل مقدم الضوئية الذي كان يحمل السلاح لصد غارات الأعراب في حال هجومهم على غارات الركبان [٢] ، كما قام أمير الحج نفسه بالحراسة ضد هجمات المهمشين والعربان [٣] ، بالإضافة لوظائف أخرى مثل خولي الأغنام الذي كان يحفظ الأغنام من عبث اللصوص ، والزفوري الذى كان يقوم بتنفيذ الأحكام على المجرمين [٤].

ب / سلطة الأشراف:

أما عن السلطة الأخرى المتمثلة في الأشراف فقد كان لهم دور كبير في مقاومة جماعات النهب، فعلى سبيل المثال وفيما يتعلق ببنو عجلان فتشير المصادر بوضوح إلى جهودهم في التصدي لهم وأنهم آلوا على أنفسهم "الذب عن سكان الحرمين الشريفين الحاضر منهم والبادي ، وقمع أهل الفساد ومن يريد فيهما بإلحاد" ، ويؤكد النص مرة أخرى عن دور بنو عجلان "ودخل السيد بركات وأخوه السيد

(١) عدنان محمد فايز الشريف : وظيفة الأمير الراكز ، ص ٢٠٩ والتى تليها .
(٢) سليمان مالكى : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة في بغداد ، ١٩٩٣م ، ص ١١٣.
(٣) عائشة مانع العبدلى : إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ، ص ٣١ .
(٤) عائشة مانع العبدلى : إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ، ص ٥٦ .

قايتباى [١] إلى مكة لحراستها وحمايتها ووجدوا طائفة من البغاة المذكورين جاءوا إلى مكة وأرادوا نهبها فاستعد لقتالهم بمن في جدة من التجار وغيرهم "، أما النقطة الأكثر أهمية في هذا النص قوله " وحصن الفقراء والمساكين والنساء والعاجزين " [٢] .

وعلينا أن نتوقف قليلاً أمام النص السابق، والذى يظهر إشكالية غاية الأهمية في سياق الدراسة، فنحن أمام نوعين من المهمشين نوع قام بعمليات السلب والنهب وهذا النوع الذي تصدت له السلطة لما لهذه الأعمال من آثار تخريبية على كافة مناحي المجتمع ، أما النوع الآخر من المهمشين الذين ذكرهم النص فهم الفقراء والمساكين وغيرهم ، إذن فإننا هنا أمام أنماط مختلفة من أفعال المهمشين، نمط يقوم بالتخريب والنهب وترويع الآمنين ، ونمط مستكين لا يملك أي وسيلة للمقاومة إلا بحماية السلطة ، وبذلك فإن إصدار حكم عام على سلوكيات المهمشين لا يمكن أن يكون منصفاً بأي حال من الأحوال ، كما أننا أيضاً أمام نمطين مختلفين من أنماط تعامل السلطة فكما ذكرنا سابقاً نمط من السياسات لم يتورع على الإستعانة بهذه الفئات لتحقيق أغراضه ، ونجد نمط آخر آل على نفسه التصدي للمخربين وحماية المحتاجين.

لقد تركزت أعين عدد كبير من أشراف مكة على حماية المجتمع ولذلك أخذوا على عاتقهم مهمة وضع حد لهذه الأعمال التخريبية، فعلى سبيل المثال ما قام به حسن بن عجلان أمير مكة في قمع المفسدين وإصلاح أحوال بلاد الحجاز سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م[٣]. وفى ذات الإطار نقلت لنا النصوص أنه عندما كثر بغي ابن

(١) قايتباى بن محمد بن بركات الحسنى كان حليفاً لأخيه بركات ضد اخوته المتبقيين ، وبينهما صداقة حميمة جعلت بركات يقبل بتعيينه بدلاً عنه أميراً لمكة المكرمة توفى ربيع الأول سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م . انظر : عبد الحفيظ السالمى : الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة ، ص ١٦٦ .
(٢) عبد القادر الشافعى : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة ، ص ٣٩ .
(٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج١، ص ٥١٠ .

المغير أحد قطاع الطرق المشهورين في طرقات مكة وقتل عبدا، ولكن السيد أبو القاسم حسن بن عجلان قام بقتله لوضع حد لأعماله الفاسدة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م[١].

وأيضا نجد أن بعض النصوص ذكرت أن مناقب الشريف بركات[٢] " قطع دابر أهل الفساد ، فكانت القوافل والأحمال تسير بكثرة الأموال مع آحاد الرجال ولو فى المهالك والمخاوف ، وخاف كل مقدم فاتك صاحب فراسة" [٣] ، ويبدو أن الشريف بركات قد آل على نفسه التصدي بكل قوة لهذه الفئات الضالة وكبح نشاطها ، وعلى هذا فقد أمر بالقبض على جماعة قطاع الطرق من عرب الضهوان[٤] الذين كان عددهم ما يقارب الخمسين في مكة، فحبسهم في سجن دار الرباع وكبلهم بالحديد لقيامهم بالفساد في الطرقات [٥]. وفي سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م أمسك القائد قنيد الحسني سبعة من أعيان عرب الضهوان وحبسهم بدار الرباع بمكة بعد أن كبلهم بالحديد وذلك لأنهم كانوا يفسدون بالطرقات [٦] ، وكذلك في سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م أفلت السيد محمد بن بركات من كان بحبس والده من عرب الضهوان [٧]،وتجرأ برعوث بن بثير الجرشي على الحجرة الشريفة وسرق من قناديلها كثيرا، وآل أمره أن شنق بالمدينة سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م[٨]، وقام أيضا سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م بظفر بجماعة من الأعراب وقتل منهم ستة عشر رجلا وغنم قليلا من أموالهم[٩]، وتكرر هذا أيضاً في سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م عندما أغار السيد محمد بن بركات على عرب

---

(١) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٢٤٧ .

(٢) الشريف بركات : هو الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان بن رمثة ... بن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب، وُلد سنة ٨٠١هـ /١٣٩٨م ، ولي إمارة مكة شريكاً لأبيه مع أخيه أحمد سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م ، ثم استقل بها بعد موت أبيه سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م إلى أن عزله السلطان الظاهر جقمق بأخيه على بن حسن سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م ، ثم أُعيد لها سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٢م ، وتوفي سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م . ابن تغري بردي :المنهل الصافي ، ج٣ ، ص٣٤٢-٣٤٦ ؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (د.ت) ، ج١٦ ، ص١٧٨، ١٧٩؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٣ ، ١٤ .

(٣) الصباغ : تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة الأسدى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ ، ج١ ، ص ٧٧.

(٤)عرب الضهوان: هم بطن من السراونة من هذيل، ديارهم جنوب الحجاز من جهة اليمن ويسمون بهذيل اليمن.ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٣٤٦، هامش٣ .

(٥) ابن فهد: اتحاف الورى، ج٤، ص٣٤٦.

(٦) ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٣٤٦ .

(٧)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٣٦١ .

(٨)السخاوي: الضوء اللامع ،ج٣، ص ١٠ .

(٩)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٤٣١ .

بقوم وكسرهم واستولي على مائتين من إبلهم (١)، كما هدم محمد بن بركات جماعة من عرب البقوم وغنم منهم إبلا وغنما كثيرا سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م ، وفي نفس السنة تم احراق دكانا بجدة لأحد التجار بسبب بعض المناوشات بين العرب (٢).

أما عن آل الحسن حكام مكة والطائف فقد حاولوا فى أحيان عديدة تحقيق نوع من الأمن والأمان من اعتداء الأعراب على طرف القوافل في موسم الحج والتجارة بين الطائف ومكة(٣). ومن النصوص التي توضح كيف كانت سلطة الأشراف حريصة أشد الحرص على تعقب اللصوص والمجرمين والتقصي والبحث بإمكانيات ذلك العصر أنه في عهد حسن بن أبي نمي محمد بن بركات (٤) حكي أنه سرق من الفرصة بجدة قماش وأموال لم يكسر بابها ولا ثقب جدرانها ولا أثر يحال عليه لمعرفة المطلوب والطالب، بل كان هناك حبل مسدول من بعض الجوانب، فلما عرض عليه الحبل شمه ثم قال هذا حبل عطار، ثم أمر خادمه أن يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقالوا هذا الحبل اشتراه مني فلان رحل من جماعة أمير جده فوجدت السرقة عنده (٥).

وفي نهاية الأمرعكست أعمال هذه الفئات المنحرفة واقعاً نفسياً واجتماعيا حمل عنوان التمرد والضيم ضد المجتمع الذين شعروا أنهم منبوذين فيه ، وهذا بالطبع لا يبرر هذه التصرفات المتطرفة، وما يعنينا هنا أن هذه الفئات لم تكن جميعها تقوم بأعمال متطرفة فبعضهم اكتفى بهشاشة وضعه الاجتماعى وتعايش معه ، وبعضهم نصب نفسه كسيف مسلط على رقاب المجتمع وأمنه، فعصفت هذه الأعمال التخريبية بأمن وسلامته واستقراره، ولكن السلطة كانت واقفة بالمرصاد فلم تتردد في التصدي

(١)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤،ص٥٤١ .
(٢)ابن فهد:إتحاف الورى،ج٤، ص٥٤٠ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،جـ٢ ، ص ٢٤٧ .
(٤) حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد، الحسني الهاشمي :من أشراف مكة شارك أباه في إمارتها. ثم انفرد بها بعد وفاته) سنة ٩٩٢ هـ/ ١٥٨٤ م واستمر ضابطاً شؤونها إلى أن توفي بها . انظر : الزركلى : الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م، ج٢ ، ص ٢١٨ .
(٥) الصباغ: تحصيل المرام، ج١، ط١، ص٧٧١.

لهذه الأعمال حفاظاً على استقرار المجتمع وسلامته حفاظاً على هيبتها وشرعيتها في المجال العام وفي مجتمع الحجاز خلال العصر المملوكي .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر العربية المطبوعة :

ابن إياس: زين العابدين محمد بن أحمد (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م)

بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (د.ت) .

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م.

الجزيري : عبد القادر بن محمد الحنبلي(ت٩٧٧هـ/١٥٧٠م)

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، دار الكتب العلمية (د.ت)

ابن حبيب: بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن على بن محمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .

إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م.

ابن حجي: أبى العباس أحمد بن حجي السعدى (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣ م)

تاريخ ابن حجى، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندرى ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٣

خليل بن شاهين: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى (ت٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

ابن سباط: حمزة بن أحمد بن سباط عمر بن صالح (ت بعد ٩٢٦هـ /١٥١٩م)

صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان، ١٩٩٣م.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٢٨م)

التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كمال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد) ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م

الكنز المدفون والفلك المشحون، المطبعة العامرة، مصر، ١٢٨٨ه

الشافعي: عبد القادر أحمد بن محمد بن فرج (ت ١٠١٠هـ)

السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر د.ت.

ابن شاهين الحنفي: (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين) ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م

نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م.

الصباغ: محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكى المكى (ت ١٣٢١هـ)

تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة الأسدى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .

الصفدي: خليل بن أيبك، ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

الصيرفي: علي بن داود (ت٩٠٠هـ/١١٥٠م)

نزهة النفوس والأبدان، طرابلس، ١٩٧٤ م.

ابن طولون: شمس الدين محمد بن على بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)

مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

الغازي المكي: عبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي (ت١٣٦٥هـ)

إفادة الأنام باخبار البلد الحرام، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الفاسي: محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: العلمية، محمد حامد الفقى، فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط١, بيروت، ٢٠٠٠ م .

ابن فهد: النجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، جامعة أم القري ، السعودية مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣.

الكتبي: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ج٢ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م .

السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ج٤ تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة . ٢٠٠٦م .

النهراوى: محمد بن أحمد بن محمد (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

ثانياً المراجع:

أحمد السباعي:

تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الزركلي:

الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م.

شارل مورتيل:

الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

عمر رضا كحالة:

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩م.

ك.سنوك هور خرونيه:

صفحات من تاريخ مكة المكرمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

ليلى أمين عبد المجيد:

التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

محمد عبد الغنى الأشقر:

سلار الأمير التترى المسلم نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٦٠-٧١٠هـ/١٢٦٠-١٣١٠م)، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ٤٢، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠٠م.

محمود إسماعيل:

المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

مصطفى حجازي:

التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٥م.

ثالثاً: الدراسات والبحوث:

عدنان محمد فايز الشريف:

وظيفة الأمير الراكز فى مكة المكرمة خلال العصر المملوكى " نشأتها، تطورها، اختصاصات صاحبها، بحث منشور فى مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٣.

محمد الرويثى:

المرافىء الطبيعية على الساحل السعودى، مجلة العرب، ج٥، ٦، ١٤٠٢، ١٩٨٢م.

رابعاً: الرسائل العلمية:

سليمان مالكى:

بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة في بغداد ، ١٩٩٣م.

عائشة مانع العبدلى:

إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩ م ، ص ١٠١ .

عائض الردادي:

الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م .

عبد الحفيظ السالمي:

الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢٨ – ١٤٢٩ / ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩.

خامساً: المراجع الأجنبية:

D.Gaury, Rulers of Mecca.george G. Harrap, London, Sydney, Toronto, Bombay,1950.